العرب
الأربعاء 2021/02/17
السنة 43 العدد 11974

الانفتاح الطبقي يجعل الذائقة الفنية متقاربة

متى تخاطب النخب الموسيقية جمهورا عريضا دون تعال أو إسفاف؟

تطرح تظاهرة "كلاسيكيات النجمة الزهراء" التي يقيمها مركز الموسيقى العربية والمتوسطية "النجمة الزهراء" بضاحية سيدي بوسعيد التونسية، خلال شهر فبراير الجاري، سؤالا قديما متجدّدا مفاده: إلى أي حد يمكن لمثل هكذا تظاهرات فنية انتقائية تحقيق المعادلة الصعبة بين ما هو جماهيري وما هو نخبوي؟

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

تونس – نظم مركز الموسيقى العربية والمتوسطية "النجمة الزهراء" بضاحية سيدي بوسعيد، القرية السياحية الشهيرة بشمال العاصمة التونسية، سلسلة عروض للموسيقى الكلاسيكية الغربية تحت عنوان "كلاسيكيات النجمة الزهراء" وتمتد خلال شهر فبراير الحالي.

قد يبدو الحدث روتينيا في القصر الذي بناه الموسيقي والرسام الفرنسي ذو الأصول الألمانية رودولف ديرلونجي، في بداية القرن الماضي، واعتمدته السلطات الثقافية التونسية منذ عام 1991 مركزا للأبحاث والعروض الموسيقية داخل فضائه المعماري الأخّاذ، لكن ما يثير الانتباه أن مركز النجمة الزهراء يخصّص لكل شهر لونا موسيقيا تلبية لمختلف الأذواق.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه السنة هي سنة استثنائية، لما تقتضيه قواعد البروتوكول الصحي من تخفيض في عدد المقاعد (60 مقعدا فقط) عملا بمبدأ التباعد الاجتماعي، ما تعذّر على الجهة المنظمة التخفيض في سعر التذاكر كما جرت العادة (30 دينارا، أي ما يقارب العشر دولارات للتذكرة)، لكن بإمكان عشاق الموسيقى الكلاسيكية متابعة العروض مباشرة على منصة رقمية مخصّصة لهذا الغرض.

وشدّد المنظمون على أن العروض تنطلق على الساعة الرابعة مساء، وسط تطبيق مشدّد للإجراءات الصحية، مع السعي إلى تمكين أكبر عدد ممكن من الجمهور من متابعة العروض، وذلك عبر بثّها لحفلات التظاهرة بتقنية "ستريمينغ" على الصفحة الرسمية لـ"مؤسسة النجمة الزهراء".

معضلة ذوقية

سيماء صمود، مديرة مركز الموسيقى العربية والمتوسطية "النجمة الزهراء"، قالت إن "المركز هو الخزينة الوطنية للتراث التونسي التي يقع فيها الإيداع القانوني لحفظ الذاكرة الجماعية وخاصة الفنية للتونسيين".. ولكن، هل حقا لـ"جميع التونسيين؟".

سؤال قد يبدو فيه نوع من التجني ومنطق "هذا على الحساب قبل قراءة الكتاب"، خصوصا أن المهرجان لم يتغافل عن الموسم الرمضاني الذي سيخصّه القيمون على مركز الموسيقى العربية والمتوسطية بعروض صوفية من مختلف البلاد العربية والمتوسطية، ويكتسي حلة خاصة تنسجم مع عبق المكان الذي يضم أضرحة ومقامات لرجالات من الصوفيين على رأسهم أبوسعيد الباجي الذي سميت القرية باسمه.

وسوف تكون البداية بعرض "صوفيات نجمة الزهراء"، يليها مشروع "بصمات" الذي يتضمن موسيقى الزنوج التونسيين المعروفة بـ"اسطمبالي"، وأخيرا عرض "مدينة نابل تتغنى بالقادرية" للباحث محمد البسكري.

ولم تنس صمود، أن تسلّط الضوء على حرص مركز النجمة الزهراء لإصدار كتاب يتضمّن حياة العلامة الصوفي عبدالرزاق القليوي، للكاتب حاتم اللجمي.

كل هذا لا يجعل مركز النجمة الزهراء في الضاحية ذات النخبة البرجوازية والفئة الميسورة من التونسيين والأجانب الذين اختاروا العيش فيها، من اتهام جمهور الشعبويين لهم بالفرز الطبقي، وابتعادهم عن نبض الشارع الحقيقي، الذي يروم الاستمتاع بتلك الفنون الشعبية بعيدا عن الجانب الاستشراقي، والطريقة التي يتناول بها البرجوازيون الفنون الشعبية بقفازات معقّمة.

هذه المعضلة الذوقية ما زالت محل جدل بين شرائح وحساسيات فكرية تونسية، تتناوب فيها الاتهامات والمماحكات. فريقان، واحد يدّعي رفع سوية الذائقة وتهذيب النفوس بكل ما علق بها من مسوخات وتشوهات فرجوية شعبوية رخيصة، وفريق آخر يزعم أن الثقافة والفنون ليست تلك الحالة المخملية التي تذكّر بالبايات، ملوك تونس أيام العهد العثماني بل هي انفتاح على الشارع التونسي، ومخاطبة وجدانه الجماعي.

الفئات الشعبية لديها حساسية خاصة من كل تظاهرة ثقافية تحتضنها الأحياء الراقية، وتعتبرها لا تنتمي إليها لمجرد أنها تقام في فضاء باذخ المعمار، ويؤمّه جمهور متأنّق ومتعطر.

الأوساط الميسورة، بدورها، تتأفّف من أجواء "الهشّك بشّك" كما تصفها العامة نفسها، وتعتبر أن الفن الراقي يبقى "راقيا"، وإذا نزلنا إلى الحضيض باسم الإخلاص والارتباط بثقافة الشعب وذاكرته، فإننا نجني على "الشعب" نفسه ونبقيه في حضيض تلك الأجواء المعفّرة بالابتذال والسوقية.

انتقاء نخبوي

مهما يكن من أمر، فإن المهرجان، وللأمانة بحسب جميع المتابعين من داخل تونس وخارجها، حافظ على تقاليده في انتقاء الموسيقى الراقية من داخل تونس وخارجها. أمر طبيعي أن ينتقده الشعبويون ويتهمونه بالنخبوية، لكن القيمين عليه يردّون عليهم بأن هذا هو شأن الموسيقى التي يرومها ويرتئيها روّادها الأوائل من أمثال شيخ موسيقيي تونس خميس الترنان والمؤرّخين حسن حسني عبدالوهاب وأحمد الوافي الذين كانوا من أصدقاء وجلساء البارون ديرلونجي في عشرينات القرن الماضي، وكذلك العلامة الموسيقي الحلبي علي الدرويش، الذي استقدمه البارون من مصر لينوّط ويوثّق الموشحات التونسية المعروفة بـ"المالوف".

ولعل ما أعطى لهذا المهرجان ألقه وإشعاعه على الصعيد المتوسطي هو فرادة البناء الذي يحتضنه في القرية التي وصفت بأنها من أجمل أمكنة العالم. ويضم قصر ديرلونجي، الذي يعدّ في حد ذاته تحفة معمارية قلّ نظيرها على شواطئ المتوسط، متحفا للآلات الموسيقية التاريخية، يحتوي على 15 آلة موسيقية تعود للبارون ديرلونجي كالقانون التركي وآلة العود والمزود، وآلات أخرى ذات أصول أفريقية جمّعت وصنّفت لتستغل في الجانب البحثي العلمي، فضلا عن الفناء الخارجي وما يحتويه من أثاث غاية في الروعة.

لم تتفرّد تونس وحدها من ضمن البلدان العربية بإقامتها لتظاهرات ثقافية داخل معالم تاريخية وفضاءات عمرانية متميزة على غرار بيت الدين في لبنان وقصر العظم في سوريا وغيرهما من أماكن عديدة في مصر، لكن السياسة الثقافية للدولة هي الجديرة بإنجاح مشروع دون آخر. وإذ تأرجحت بعض التظاهرات العربية بين الغث والسمين، والجماهيري والنخبوي، فإن القيمين على الشأن الثقافي بإمكانهم أن يتحكّموا في ذلك من خلال توفير الدعم المالي وتشجيع روح الابتكار لدى الأجيال الشابة.

سيماء صمود

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية هو خزينة التراث التونسي

معضلة الجدل بين دعاة النزول إلى الجمهور العريض وبين الساعين إلى الرقي بذوقه، لا تزال مسألة قائمة في معظم البلدان العربية، وحتى في الغرب الأوروبي والأميركي، لكن تونس، وعلى وجه الخصوص، تشهد انفتاحا طبقيا قلّ نظيره في العالم العربي، وهذا الأمر مردّه إلى السياسة الثقافية دائما، منذ المؤسّسين الأوائل إبان دولة الاستقلال في بواكيرها الأولى.

تناغم بين الحركة والإيقاع

الفئات الشعبية تنفر من كل تظاهرة ثقافية تحتضنها الأحياء الراقية، وتعتبرها لا تنتمي إليها

العراق يطلق مهرجانه الأول للأغنية الشبابية

بغداد – يستعد العراق خلال شهر فبراير الجاري لإقامة مهرجانه الأول للأغنية الشبابية الملتزمة، والذي يضمّ العديد من الأغاني والأناشيد الشبابية الملتزمة باللغات العربية والكردية والتركمانية والسريانية، ما يشكّل مكونات وأطياف الشعب العراقي كافة.

وضمن تحضيرات القائمين على النسخة الأولى من المهرجان شهدت قاعة أكاديمية عمر محمد فاضل ببغداد مؤتمرا إعلاميا عقدته اللجنة التحضيرية للمهرجان وأداره الشاعر محمد المحاويلي بمشاركة جمعة العربي وعلي خصاف وعمر محمد فاضل وفريال الحيدري.

سعدون جابر سيؤدّي في المهرجان أغنية «وصية أب» مع مطرب شاب

وقال المحاويلي "انبثق عن المهرجان منتدى النغم العراقي لتوثيق الموسيقى والغناء، من خلال فرق ستستقصي حياة الشعراء والملحّنين والعازفين والموزّعين والمطربين، مع مواصلة تنظيم المهرجانات وورش العمل"، مؤكّدا أن "المهرجان يسعى لحفظ قيم الغناء الملتزم وتعزيز الانتشار الذي تحقّقه الأغنية العراقية؛ فهو لبنة لتصحيح المسارات".

ويقام المهرجان الأول في الحادي والعشرين من فبراير الحالي داخل قاعة قرطبة في فندق المنصور ببغداد، بمشاركة اثنتي عشرة أغنية من العراق والدول العربية والعالم، فيما يقام المهرجان الثاني في الثامن والعشرين من فبراير بمحافظة أربيل، شاملا الأغاني الكردية والتركمانية والسريانية، مع لوحات لفرقتي الفنون الشعبية في أربيل وكركوك.

وأوضح المحاويلي أن "اللجنة ستتنقل به بين محافظات العراق كافة بصحبة المتميزين من كل مهرجان، مقدّمين لهم خدمات متواصلة تجعلهم نجوما في المستقبل"، مؤكّدا أن "المهرجان الأول سيشهد مشاركة تسع شاعرات".

كما أشار إلى أن "اللجنة لم تهمل أيّ مشاركة، لكنها راعت التوزيع بين المحافظات"، موضحا "يفتتح المهرجان بأوبريت وطني.. شعر إسماعيل حقي وغناء قاسم إسماعيل وفيصل حمادي وسعد عبدالحسين ومجدي حسين، تليهم أغنية 'وصية أب' بين سعدون جابر ومطرب شاب، وهي من كلمات وألحان جمعة العربي الذي سبق وأن لحن أشهر أغاني الفنانة سيناء "ظلمتوه بالوصف"، وأدّى قصيدة للشاعر رعد بندر بألحان الموسيقار فاروق هلال".

محمد المحاويلي

المهرجان يسعى لتعزيز الانتشار الذي تحقّقه الأغنية العراقية

وستؤدّى خلال المهرجان الأغنيات الاثنتا عشرة مسجلة بطريقة البلاي باك، وينشدها كل من رحاب بأغنية "يمة يا يمة" من الديوانية، وحنان ميسان من السويد بأغنية "بنات الناس مو لعبة"، ووسيم حبيب بأغنية موصلية، إضافة إلى لمياء وإنعام من السويد ومحمد الشمري من الأنبار وواثق الأديب من البصرة ووهج يوسف من كربلاء وعامر العلي من ديالى وفريال الحيدري وسيف سعد وحسن ثامر والطفل منتظر من بغداد ونوال خان من لندن، وكل الأغنيات منفّذة وجاهزة.

وقال عمر محمد فاضل "المهرجان يسعى إلى توطيد أطر التعايش السلمي ودعم الأغنية الشبابية الملتزمة، وهو يعدّ صحوة لترصين الأغنية الشبابية بهدف العودة إلى الأصالة"، مضيفا "الأغنية العراقية بالرغم من الأعباء المتوارثة التي تنوء بها ما زالت تتصدّر الساحات الغنائية العربية شعرا ولحنا وأداء".

موسيقى السالسا تفقد عرابها جوني باتشيكو

نيويورك – غيّب الموت مساء الاثنين الموسيقي الشهير جوني باتشيكو المصنّف أحد عرابي موسيقى السالسا، عن عمر ناهز 85 عاما.

وأسّس الموسيقي والمؤلف والمنتج المولود في جمهورية الدومينيكان خصوصا شركة "فانيا ريكوردز" للإنتاج ومجموعة "فانيا آل – ستارز" التاريخية اللتين تعاونتا مع كبار الأسماء في السالسا من أمثال سيليا كروز وهكتور لافوس وويلي كولون الذي كتب عبر تويتر "أرقد بسلام يا صديقي ومعلمي العزيز".

وكان الموسيقي أدخل إلى المستشفى بصورة طارئة قبل أيام بسبب التهاب رئوي.

ووصل الموسيقي المولود في 25 مارس 1935 في مدينة سانتياغو دي لوس كابابيروس في الدومينيكان، واسمه الحقيقي خوان أزارياس باتشيكو، إلى نيويورك مع عائلته عندما كان طفلا.

وبعد دراسات موسيقية في مدرسة جوليارد سكول في نيويورك بدأ مسيرته في خمسينات القرن العشرين قبل دخوله عالم الشهرة مع أوركسترا باتشيكو إي سو تشارانغا. واشتهر الراحل طوال حياته بالارتقاء بالمجتمع الأفريقي الكاريبي وموسيقاه، وألف أكثر من 150 أغنية، أصبح الكثير منها من كلاسيكيات موسيقى السالسا.

والسالسا هي لون موسيقي وثقافي مطوّر في أميركا اللاتينية وتعتبر من أصل كاريبي وتمتاز نغماتها بالمزج بين الخصائص اللحنية للجاز والموسيقى الكوبية والفلكلور اللاتيني.

الراحل أوصل موسيقى السالسا إلى العالمية